د. بكري عساس

مكةَ وأَجْر الـمُقَامِ بها ـ 11 مايو 2016

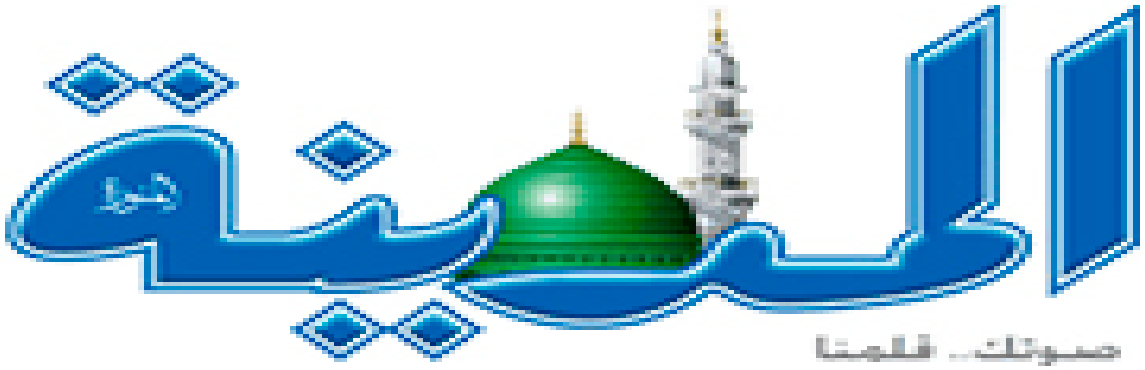

قبلَ نحوِ ألفٍ وثلاثِمِئَةِ سنةٍ كانَ بمكةَ رجلٌ من العُباد يُسمى: عبدَالرحيمِ بنَ أنسٍ الرَّماديّ، أرادَ هذا الرجلُ أن يُغادرَ مكةَ إلى اليمن، فبلغَ الخبَرُ صديقَهُ التابعيَّ الجليلَ الحَسَنَ البصريَّ رَحمَهما اللهُ، فانزَعَجَ وكتبَ إلى صَاحِبِه يقولُ له: «وإني واللهِ كرهتُ ذلك، وغَمَّني، واستوحَشْتُ مِنْهُ وَحْشَةً شديدةً، إذْ أرادَ الشَّيطانُ أنْ يُزعِجَكَ مِنْ حَرَمِ اللهِ، ويَسْتَزِلَّكَ، فياعجباً مِنْ عقلِكَ إذْ نويتَ ذلكَ في نفسِكَ بَعْدَ أنْ جَعَلَكَ اللهُ مِنْ أَهْلِه».

وبعد سلسلةٍ طويلةٍ من الآثارِ التي ساقَها الحسنُ عن فضائلِ مكةَ وأَجْرِ الـمُقَامِ بها قال لصاحِبِه: «فاثْبُتْ مكانَكَ، ولا تَبْرَحْ، وإنَّكَ إنْ تَكْسَبْ مَكْسباً يساوي فِلْسَيْن من حلالٍ بها، كان خيراً وأفضلَ من أن تكسبَ في غيرِها ألفَيْ درهم».

هذه النصيحةُ البَصْرِيَّةُ الثمينةُ تكشِفُ كَمْ هُوَ عظيمٌ أن يحظَى الإنسانُ بشرفِ جوارِ هذا البيتِ الحرامِ، ليس بينَهُ وبين جمالِ الطوافِ بالكعبةِ، ولذةِ الصلاةِ في الصَّحْنِ، وحلاوةِ المناجاةِ في الملتزَمِ ، وجلالِ القيامِ في جوفِ الحِجْرِ، إلا أنْ يخطوَ خطواتٍ، أو يمشيَ بضعَ كيلومتراتٍ!

وكيف لا يشرُفُ الإنسانُ وهو في جوارِ أولِ بيتٍ وُضِعَ للناس؟

هذا البيتُ الذي بوَّأَ اللهُ لإبراهيمَ عليه السلامُ مكانَهُ ((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي

2025 © جميع الحقوق محفوظة لموقع الدكتور بكري عساس

د. بكري عساس

شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)) ، فكانَ في الأرضِ محاذياً للبيتِ المعمورِ في السماءِ، هذا في الأرضِ مُطَهَّرٌ للطائفينَ والعاكفينَ والركعِ السجودِ من البشرِ، وذلك في السماءِ يُصلِّي فيه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفاً من الملائكةِ، لايعودونَ إليهِ أبداً!!

وقد جاءَ في الحديثِ عند مسلمٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلمَ رأى إبراهيمَ عليه السلامُ في السماءِ السابعةِ مُسنِداً ظهرَهُ إلى البيتِ المعمورِ، وقد كانتْ هذه الخصوصيةُ له عليهِ الصلاةُ والسلامُ جزاءً وِفاقاً؛ لأنَّه باني الكعبةِ الأرضيةِ، فجعلَ اللهُ من جزائهِ أن يتكئَ على الكعبةِ السماوية!

فانظر شرفَ هذه الكعبةِ كيفَ اختُصَّ بانِيْها بمجاورةِ البيتِ المعمورِ! لقد رفَعَها في الأرضِ فرفَعَهُ اللهُ في السماءِ!

فأيُّ رِفعةٍ لهذا البيتِ وأيُّ مقامٍ وأيُّ تعظيم؟

والمتأمِّلُ في القرآنِ الكريمِ يجدُ وصفَيْنِ عجيبيْنِ لهذا البيتِ الحرام:

جاءَ أولُهما في دعاءِ إبراهيمَ عليهِ السلامَ: ((فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ))

وجاء الثاني في قولِهِ تعالى: ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً))

والوصْفُ الأولُ (قلبيٌّ) فيه انجذابُ القلوبِ إلى البيتِ الحرامِ وأهلِهِ.

والوصفُ الثاني (جسديٌّ) فيهِ ثَوْبُ الأجسادِ ـ أي: رُجُوعُها ـ إلى البيتِ الحرامِ.

فإذا ضممتَ الوصفينِ معاً بانَ لك أنَّ هذه البقعةَ الطاهرةَ هي مهوى الأفئدةِ والأجسادِ، فمن بلغَها بجسدِهِ فقد سَبَقَ إليها قلبُهُ، ومن لم يبلغْها بجسدِهِ فإنَّ قلبَهُ عندَها يطوفُ ويسعى . فهنيئاً لأهلها ولمن عاش فيها ولمن زارها .

2025 © جميع الحقوق محفوظة لموقع الدكتور بكري عساس